نظام الحكم في الصين القديمة

واُمتازت الحكومات الامبراطورية الصينية بصفة الهرمية، فالامبراطور في قمة هذا الهرم، وفي المركز هناك مجموعة من المؤسسات الخاصة، وفي أسفل الهرم هناك الحكومات الاقليمية والمحلية، وكل مستوى في هذا الهرم يتضمن ثلاث إدارات، الاولى الإدارة العامة، والثانية الجيش والثالثة للمراقبة والاشراف على الجميع، إلا إنَّ السلطة في النهاية مصدرها الامبراطور، وبمرور الزمن أصبحت الحكومة المركزية إدارة شديدة التعقيد، ولم تكن هناك إدارة للشؤون الخارجية، لأن الصين آنذاك لم تعترف بأن في العالم دولة مساوية لها، فضلاً عن كونها اُتبعت سياسة العزلة عن العالم الخارجي، لذلك لم تكن هناك وزارة للخارجية، أمَّا عن الجيش في العصر الامبراطوري فلم يعطِ للقادة العسكريين أية مراكز قوة يمكن من خلالها تهديد الامبراطور، وهكذا فإن (البيروقراطية)[1]، المسيطرة في العصر الامبراطوري المتأخر **(٩٦٠-١٨٥٠)** لم تهدد البلاط الامبراطوري بل انها في عصر الأُسرات المتأخرة منحت الحكومة درجة كبيرة من الفعالية والقوة، كما تميز التنظيم الإداري في عصر الاسرات الثلاث الأخيرة مركزية السلطة الشديدة من خلال العلاقة الوطيدة بين الحكومات الاقليمية والحكومة المركزية[2].

أمَّا عن نظام التعليم فلم يكن من واجب الحكومة الصينية، إذ إنَّ الأغنياء كانوا يستخدمون المدرسين الخصوصيين، وفي بعض الأحيان يقومون بتأسيس مدارس حرة، أمَّا الطبقة الفقيرة فلم تكن تتمتع بأية فرصة للتعليم، وعلى الرغم من ذلك فإن الشعب الصيني كان شعباً متراصاً عميق الجذور في ثقافته، وكان يمتلك مهارات تقليدية تجعل منه الانسان الأكثر ثقافة، لأن الشعب الصيني حافظ على تقاليده المتوارثة التي حكمتها الفلسفة الكونفوشية القديمة وتفاسيرها المتعلقة بها، فضلاً عن حفاظهم على إرثهم التأريخي والثقافي، اذ كانت الثقافة تحقق مردوداتها

---

(1) البيروقراطية: وتعني حكومة الفرد المطلقة او الجماعة او دولة خاضعة لحكم فرد يتمتع بسلطات مطلقة.

(2) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣.

عندما يجتاز الشخص المرشح للحصول عليها، واحدة او (الإمتحانات) كلها المتعلقة بالخدمة المدنية التي كانت تجريها الحكومة المركزية في العاصمة الصينية[٣]، ومن خلال نظام الامتحانات كان المرء يتمكن من الحصول على الوظائف العامة والعليا في الدولة والحصول على الثروة[٤]، ومن خلال هذا النظام تم الحفاظ على الثقافة التقليدية القديمة وعملت في الوقت نفسه على تجميد حرية الفكر الصيني واستقلاله.

كان المجتمع الصيني يتكون من ثلاث طبقات هي، الطبقة العليا وتشمل كبار موظفي الدولة (حملة الشهادات الكونفوشية) وملاك الاراضي الذين يتمتعون بأُمتيازات كبيرة، ثم طبقة الفلاحين الذين يشكلون الغالبية العظمى من السكان، وأخيراً طبقة الحرفيين والتجار الذين ينتشرون في المدن[٥].

أمَّا بالنسبة للتنظيم الاقتصادي، فقد أولت الكونفوشية أهمية للزراعة التي عدت الاقتصاد القومي ومحور النشاط الاقتصادي، لاسيما وإنَّ البلاد تتوافر على مساحات واسعة من الاراضي الخصبة والمياه الجارية، فكان طبيعياً أن يبجل الصينيون الزراعة، حتى أنهم أقاموا هيكلاً عند ابواب العاصمة يحتفلون عنده سنوياً بأُفتتاح موسم الربيع يفتتحه الامبراطور بنفسه، كونه مخصب الارض وباعث الحياة في البذور[٦].

كما أُعتمدت موارد الدولة على الضرائب بشكل رئيس والضرائب الاساسية هي ضريبة الارض والاعناق وتدفع نقداً او عيناً وخاصة الرز لتمويل نفقات البلاط والموظفين والقوات المسلحة المرابطة في العاصمة وحولها، وكانت العملة المتداولة في الصين هي النقود النحاسية، أمَّا الفضة فلم تكن سوى سلعة تجارية تستخدم كنقود في تسوية المعاملات الكبيرة[٧].

([3]) Paul Hibbert, op. cit, p. 62-63.

([٤]) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص٣٤.
([٥]) نوري عبد الحميد ,واخرون، تاريخ اسيا، ص٢.
([٦]) نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين، ص ٣٢.
([٧])نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين ، ص٣٤-٣٥.

حكم المغول ١٢٨٠-١٣٦٨.

خلال عهد أُسرة (سونغ) الصينية أصبحت الصين مهددة من ثلاثة شعوب هي (الكيتان والتانكوت والجيرجين)، التي تمكنت من أُبتزاز الحاشية المحيطة بسلالة حكم (سونغ)، واحتلال بعض مناطق الريف المحيط بنهر امور، وعلى الرغم من ذلك، فإن الصين في أواخر القرن الثالث عشر سقطت بأيدي المغول، بعد أن تمكنوا من السيطرة على منغوليا عام ١٢٠٤ وعلى كوريا عام ١٢٣١، كما غزوا إقليم **(يونان)** الصيني عام ١٢٥٤ وبلاد **(انام)** عام ١٢٥٨، وفي عام ١٢٦٠ جعلوا من العاصمة الصينية **(بكين)** عاصمتهم الشتوية الشرقية[٨]، وتمكن المغول بقيادة (قبلاي خان) الذي أعلن نفسه خليفة لأباطرة الصين، من تأسيس أُسرة جديدة سميت بـ(يووان)، وهي أول أُسرة غريبة حكمت اجزاء الصين كلها، وفي أثناء هذا العهد بدأت الصين تنتقل تدريجياً من العصور الوسطى الى العصور الحديثة[٩].

وبحلول نهاية القرن الثالث عشر، أُمتدت امبراطورية المغول من سواحل الصين في الشرق حتى ضفاف نهر أمور في الشمال وفي حزام واسع بأُتجاه الغرب ماراً بقلب القارة الاسيوية حتى حدود شبه الجزيرة العربية من جهة وفي عمق روسيا الأوربية من جهة الغرب[١٠].

وفضَّل **(قبلاي خان)** الصين عن بقية أجزاء الامبراطورية المغولية، وأراد أن يمد نفوذه الى اليابان بحملة قام بها عام ١٢٨١، ضمت جنوداً مغول وصينيين وكوريين، إلا إنَّ حملته باءت بالفشل بسبب العواصف وعدم كفاءة الاسطول المغولي، غير أنَّ غزوات المغول تواصلت في السنوات اللاحقة باتجاه الجنوب نحو (بورما) و(كمبوديا) بين الأعوام (١٢٨٢-١٢٨٤)، وتكللت هذه الغزوات بالنجاح وأصبحت هذه المناطق تعترف بتبعيتها للصين[١١].

([8]) Paul Hibbert, OP. Cit, p. 48-49.

([9]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين، ص ١٧.

([10]) Paul Hibbert, op. cit, p. 49.

([11]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين، ص١٧-١٨.

ولما كان (قبلاي خان) يعترف بتفوق الصينيين في ميدان الحضارة وكان معجباً بها، فقد أخذ يعوّد أتباعه على التكيف لعادات أهل البلاد في شؤون حياتهم والإندماج في المجتمع، لكنه ولإسباب سياسية ألغى نظام تقلد المناصب الحكومية عن طريق الامتحانات التي كانت تحول دون حصر الوظائف العليا بيد أعوانه الذين لم يكونوا مؤهلين للامتحان، ومع ذلك أجرى إصلاحات عامة وأظهر تسامحاً مع الأديان وشجع المسيحية وشيد عاصمة جديدة في بكين شمالي الصين لتكون قريبة من (قرة قورم) عاصمة المغول في منغوليا[١٢].

إن الإزدهار الذي عرفته الصين على يد هذه الأسرة لم يستمر طويلاً فقد أضمحل نفوذها بتلاشي سلطان المغول في اوربا وغربي آسيا، وكان خلفاء (قبلاي) من الضعف بأن تولى سبعة أباطرة الحكم خلال أربعين عاماً **(١٢٩٥-١٣٣٣)** معظمهم ماتوا أو قتلوا في أحداث عنف وثورات، إذ أخذ الحس القومي يتنامى عند الصينيين حتى تمكنوا من طرد اخر اباطرتهم (توغان تيمور) عام ١٣٦٨، الذي فر الى (قرة قورم) دون مقاومة[١٣].

أسرة مينغ ١٣٦٨-١٦٤٤.

لم تتمكن أسرة (**يوان**) من الصمود طويلا أمام الشعور القومي الصيني فتزعم أحد القادة وهو (**هونغ وو**) الحركة الوطنية، وقاد ثورة ضد المغول عام ١٣٦٨ واحتل بكين، وأعلن نفسه امبراطورا لاسرة (**مينغ**) التي تعني (**المتألقين**)، وهي أسرة صينية نهجت نهجا قوميا محافضا وحققت بعثا جديدا للروح الصينية، وبلغت الصين خلال عهد هذه الاسرة أقصى إتساع لها أنذاك، ونالت الثقافة في عهد هذه الاسرة ازدهارا بفضل تطور الطباعة وتقوت هيئة الموظفين بتنظيم الامتحانات الرسمية التي أعيدت في اواخر العهد المغولي ووضعت المصنفات الضخمة ذات الطابع الموسوعي وعني المؤرخون بدراسة تاريخ النظم السياسية والادارية والاقتصادية، وحظيت العاصمة بكين

---

(١٢)نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ، ص١٨.
(١٣) المصدر نفسه، ص١٨.

بأهتمام الاباطرة، فجرى تجديد بناءها على صورتها الحالية وقسمت البلاد الى خمسة عشر مقاطعة ووضعت قواعد الادارة على أسس ثابتة بتطوير الانظمة السابقة، الا إنَّ الامبراطورية ما لبثت ان تعرضت للضعف والانحلال ولتحديات الاقوام الخارجية، فضلا عن التحديات الاجنبية، وأمام عجز الحكومة عن مواجهة هذه التحديات، لم تجد وسيلة للمحافضة على استقلال البلاد سوى فرض العزلة ومنعت الصينيين من الاتصال بالاجانب وفرضت القيود على التجارة [١٤]،الا ان هذه الاجراءات لم تكن كفيلة بتقوية سلطان الاسرة، وعانت الصين من تردي الأوضاع الداخلية، التي تمثلت بالصعوبات المالية التي واجهتها ميزانية البلاد، والتنافس على السلطة بين أبناء أُسرة **(مينغ)**، فضلاً عن إنَّها عانت من رياح الاستبداد الذي أسهم في سقوطها[١٥]، لذلك تمكنت أُسرة **(المانشو)** –وهي أُسرة مغولية كانت تستوطن إقليم منشوريا الواقع شمال الصين- من استغلال تردي الظروف الداخلية التي شهدتها الصين، وبدعم من العناصر الصينية المنشقة، تمكنت من دخول العاصمة **(بكين)** والسيطرة على الحكم عام **(١٦٦٤)**[١٦].

أسرة المانشو ١٦٦٤-١٩١١.

وكان أول عمل اقدمت عليه أُسرة **(المانشو)** هو القضاء على المتمردين والمعارضين من أعوان أُسرة **(مينغ)**، وإخضاع بقية أجزاء الصين، ولتثبيت سيطرتها وزعت قواتها على الحاميات العسكرية في المدن الرئيسة وفي العاصمة[١٧].

أُمتازت السياسة التي أُتبعتها أُسرة (المانشو) بالتمييز، إذ أصدرت أوامرها بعدم السماح للموظفين الصينيين بتولي مناصبهم في مقاطعاتهم والمقاطعات الأخرى، منعاً لقيام التكتلات، ونتج عن ذلك ظهور تباين واضح بين مناطق الصين الشمالية والجنوبية، فالمناطق

---

(١٤)نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ،ص١٨-٢٠.
(١٥) دانييل اليسييف، تاريخ الصين، ترجمة يوسف شلب، دمشق، ٢٠٠٧، ص١٣٨-١٤٠.
(١٦) نوري عبد الحميد واخرون، تاريخ اسيا، ص٤.
(١٧)المصدر نفسه، ص٢٠-٢١.

الشمالية بحكم قربها من منشوريا (موطن المانشو) ووجود العاصمة فيها، سيطر (المانشو) عليها وبقيت موالية لهم، أمَّا المناطق الجنوبية التي أُخضعت بالقوة بعد أربعين عاماً من دخول (المانشو) العاصمة (بكين)، فإنها بقيت مسرحاً للحركات المعارضة طوال حكم **(المانشو)**، فضلاً عن ذلك فإنهم ظلوا يشعرون بالغبن، فكانت واردات الخزينة المركزية معظمها تأتي من الجنوب لكنها تنفق على بناء القصور والمعابد في الشمال، ومما زاد من تذمرهم حرمانهم من المناصب العليا في الادارة حتى في مقاطعاتهم، لأن هذه المناصب بقيت حكراً على **(المانشو)**[١٨].

وترتب على السياسة الجديدة فقدان عنصر الكفاءة، وصارت اللغة المنشورية لغة رسمية الى جانب اللغة الصينية، وصار **(المانشو)** يتمتعون بالامتيازات ويسيطرون على الاراضي والمال، وأُتبعوا سياسة عنصرية إستعلائية، فكانوا ينظرون الى الصينيين نظرة ترفع، بل انهم أرادوا فرض عاداتهم وتقاليدهم ومظاهرهم على اهل البلاد بالقوة، ففرضوا على رجال الصين أن يلبسوا الملابس المنشورية، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ أُسرة **(المانشو)** أُعجبت بالحضارة الصينية، وبدءوا يتقبلونها ويستنسخون الكتب الصينية، ويقربون العلماء إليهم، ويندمجون بالمجتمع، وأُتخذوا من الكونفوشية عقيدة رسمية لهم، ولم تمض أكثر من خمسين عاماً حتى صار أباطرتهم يحكمون طبقاً لأنظمة الصين وأخلاقياتها، وأُزدهرت الاداب والعلوم الصينية بفضل تشجيعهم، وتعصبوا للحضارة الصينية، وبلغت الصين في عهدهم أقصى اتساع لها فشملت منشوريا ومنغوليا وكوريا ودول جنوب وجنوب شرق اسيا والتبت وتركستان كلها[١٩].

---

(١٨) المصدر نفسه، ص٥.

(١٩) نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين، ص٢١.